# دور المنظمات الطلابية الإفريقية في فرنسة من حركة التحرر الوطني في المستعمرات الفرنسية من إفريقية السوداء (١٩٤٦-١٩٥٢)

أ. د. صباح كعدان

قسم التاريخ

جامعة دمشق

## مقدمة:

على الرغم من الدور الطليعي، الذي قامت به الرابطات والمنظمات الطلابية والشبابية الإفريقية القطرية والإقليمية والجهوية في يقظة الوعي الوطني والقومي، وفي حركة النضال من أجل استقلال القارة الإفريقية ووحدتها، فإنها لم تحظَ إلا مؤخراً[١] بما تستحق من اهتمام الباحثين المهتمين بالشؤون الإفريقية. وما ظهر من دراسات حتى الآن هي دراسات أحادية تتناول إما إحدى المنظمات القطرية، وإما إحدى المنظمات الجهوية، ولاسيما في إفريقية الشمالية[٢]، وإفريقية الغربية ومدغشقر والحبشة (إثيوبية) أو في لندن أو باريس[٣].

وقد رأينا أن يتناول هذا البحث بعض المنظمات الطلابية الإفريقية السوداء في فرنسة، التي لعبت فيما بين ١٩٤٦-١٩٥٢، دوراً مهماً في يقظة الوعي الوطني والقومي، وفي حركة النضال من أجل استقلال بلدان إفريقية الغربية وإفريقية الاستوائية، التي

كانت تخضع للسيطرة الاستعمارية الفرنسية، والدعوة إلى وحدة القارة الإفريقية، ولم تسلط عليها الأضواء حتى الآن.

ويقسم البحث إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول يخصص للطلبة الأفارقة من أبناء المستعمرات الفرنسية بإفريقية السوداء في فرنسة إبّان العهد الاستعماري.
- القسم الثاني ويُعنى بدراسة الرابطة العامة للطلبة الأفارقة السود في باريس AGEAP.
- القسم الثالث ويتناول فريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي.
- القسم الرابع ويبحث في رابطة طلبة التجمع الإفريقي.

## أولاً- الطلبة الأفارقة من أبناء المستعمرات الفرنسية من إفريقية السوداء في فرنسة:

ويقصد بالطلبة الأفارقة من أبناء المستعمرات الفرنسية من إفريقية السوداء، أبناء المستعمرات الفرنسية من إفريقية الغربية (السنغال وموريتانية والسودان الغربي والنيجر وفولتا العليا وغينية الفرنسية وساحل العاج والداهومي) وإفريقية الاستوائية (التشاد وأوبانغي، شاري والكونغو الأوسط والغابون)، بالإضافة إلى أبناء التوغو والكاميرون اللتان كانتا تحت الوصاية الفرنسية منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى. حتى قيام الحرب العالمية الثانية بقي عدد الطلبة الأفارقة من أبناء المستعمرات الفرنسية في إفريقية السوداء، الذين يتابعون تحصيلهم العلمي العالي في فرنسة محدود جداً. ففي عام ١٩٣٦، مثلاً لم يكن عدد هؤلاء الطلبة يزيد عن ٢٠ طالباً، منهم طالبان فقط من أبناء السنغال يستفيدان من منحة حكومية[٤]، ويعزى ذلك بالدرجة الأولى إلى ضعف انتشار التعليم في تلك المستعمرات، والتركيز أساساً على التعليم

الابتدائي الهادف إلى إعداد صغـار الموظفين من الإفريقيين لمساعدة الإدارة الاستعمارية في إدارة شؤون تلك المستعمرات، والقيام بدور همزة الوصل بينها وبين أبناء جلدتهم من جهة، واقتصار تعليم المرحلة المتوسطة، الذي يعدّ التلاميذ لدخول المدارس الاتحادية على الطلبة اللامعين من خريجيْ التعليم الابتدائي، أي على النخبة وحصر التعليم الثانوي بأبناء الأوروبيين وأبناء الكومونات الأربعة في السنغال[٥].

لكن التطورات السياسية الجذرية التي شهدتها المستعمرات الفرنسية في إفريقية جنوب الصحراء الكبرى غداة الحرب العالمية الثانية، وما نجم عنها من دخول هذه المستعمرات في الحياة السياسية الحديثة، وما ترتب عن ذلك من قيام المجتمع المدني، وحصول الأفارقة على حق المواطنة بما لها من حقوق وما عليها من واجبات[٦]، أدّى إلى تطوّر نسبي مهم في انتشار التعليم الحديث في مراحله كافة. فمن ٣,٩٣% في عام ١٩٤٧ [٧]، ارتفعت نسبة قبول الأطفال الذين كانوا في سن التعليم الابتدائي إلى ٦,٩% في العام ١٩٥١، ثم إلى ١١,٦% في العام ١٩٥٦ في المستعمرات الفرنسية في إفريقية الغربية[٨]. أما بالنسبة للتعليم في المرحلة المتوسطة فقد ازداد عدد التلاميذ، في الفترة ١٩٥١-١٩٥٧، بنسبة ٢٠٠% في التعليم العام، وتجاوز نسبة الـ ٥٠٠% في التعليم الخلص[٩]. ونظراً لعدم وجود أية جامعة في المستعمرات الفرنسية في إفريقية الغربية وإفريقية الاستوائية قبل عام ١٩٥٦، فقد بدأ الطلبة الأفارقة من أبناء هذه المستعمرات يتوافدون بأعداد مهمة نسبياً لمتابعة تحصيلهم العلمي العالي في الجامعات الفرنسية.

ورغم عدم توفر إحصاءات رسمية دقيقة تسمح بمعرفة الأعداد الحقيقية للطلبة الأفارقة الوافدين إلى فرنسة من أبناء تلك المستعمرات فإنّ ما نجده من تقديرات في بعض المصادر يعطينا فكرة عن أعداد هؤلاء الطلبة وأهمية تزايدها في الفترة ١٩٤٥-١٩٦٠. فمن نحو ٢٠ طالباً يتابعون تحصيلهم العلمي العالي في فرنسة في العام ١٩٣٦، ارتفع عددهم إلى نحو ١٠٠٠ طالباً في العام ١٩٥١[١٠]، ثم تراوح ما بين

٣٠٠٠ طالباً[١١] و ٤٠٠٠ طالباً[١٢] في العام ١٩٥٤، ليرتفع إلى نحو ٨٠٠٠ طالباً في العام ١٩٦٠[١٣]. ومن بين أهم العوامل التي أسهمت، بالإضافة إلى التطور النسبي في انتشار التعليم الثانوي، في هذا التزايد المستمر في أعداد الطلبة الأفارقة من أبناء المستعمرات الفرنسية في إفريقية السوداء الوافدين إلى فرنسة للدراسة في جامعاتها نذكر: انتشار الرغبة الجامحة لدى الأفارقة في حصول أبنائهم على الشهادات الجامعية، وطموح الطلبة الأفارقة لمواصلة تعليمهم، وتقديم الحكومة الاستعمارية للمنح الدراسية الجامعية، بل منح الدراسة الثانوية أيضاً، واعتماد قسم من الطلبة الذين لم يستفيدوا من منح دراسية حكومية إما على التضامن الإفريقي، وإما على بعض الأوروبيين من أصحاب النوايا الطيبة للحصول على مساعدات مالية تسمح لهم بالقدوم إلى فرنسة ومواصلة الدراسة فيها[١٤]. وفي حين أن بعض المصادر تشير إلى أن نصفهم في عام ١٩٥٠[١٥]، ومعظمهم في عام ١٩٥٨[١٦]، كانوا من الحاصلين على منح دراسية، فإنّ بعضها الآخر يبيّن أن عدد الطلاب الحاصلين على منح دراسية ما بين ١٩٤٦-١٩٥٥، كان على النحو التالي:

| السنوات | عدد الطلاب الحاصلين على منح دراسية جامعية | عدد الطلاب الحاصلين على منح دراسية ثانوية |
|---|---|---|
| ١٩٤٦ | ٢١٢* | ١٥٠** |
| ١٩٥٠-١٩٥١ | ١٧١ | |
| ١٩٥١-١٩٥٢ | ٢٢١ | |
| ١٩٥٣-١٩٥٤ | ٣٢٧ | |
| ١٩٥٤-١٩٥٥ | ٤٩٦*** | ٥١٧*** |

وفي الفترة ١٩٥٠-١٩٥٤، كان الطلبة الأفارقة الحاصلين على منح دراسية جامعية يتوزعون على الأقسام والفروع العلمية على النحو التالي[١٧]:

*A. MOUMOUNI: **L'Education en Afrique**, Maspero, 1964, p. 105.

**P.-H. SHRHEX: Felix Houphouet-Boigny, l'homme de la paix, Seghers, et Les Nouvelles Editions Africaines, p. 78

***J. R. de BENOIST: **L'Afrique Occidentale Française,** Dakar, Les Nouvelles Editions Africaines, 1982, p. 270 et p. 273.

| الفروع والأقسام العلمية | السنوات | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | ١٩٥٠-١٩٥١ | % | ١٩٥١-١٩٥٢ | % | ١٩٥٣-١٩٥٤ | % |
| الحقوق | ٢٧ | ١٥,٨ | ٣٥ | ١٥,٨ | ٥٠ | ١٥,٣ |
| الطب | ٣٥ | ٢٠,٥ | ٤٢ | ١٩ | ٧٦ | ٢٣,٢ |
| الصيدلة | ١٥ | ٨,٨ | ٢٢ | ١٠ | ٢٢ | ٦,٨ |
| الجراحة السنية | ١٠ | ٥,٨ | ١٠ | ٤,٥ | ١٠ | ٣,١ |
| الآداب | ١٨ | ١٠,٥ | ٢٤ | ١٠,٩ | ٣٩ | ١٢ |
| العلوم | ١٤ | ٨,٢ | ٣٢ | ١٤,٥ | ٥٦ | ١٧,١ |
| المدارس العليا | ٤ | ٢,٣ | ٦ | ٢,٧ | {٣٤} | ١٠,٤ |
| التحضير للمدارس العليا | ٢٢ | ١٢,٩ | ٢٥ | ١١,٣ | | |
| المؤسسات التعليمية العليا للثقافة | ٢٦ | ١٥,٢ | ٢٥ | ١١,٣ | ٤٠ | ١٢,٢ |
| المجموع | ١٧١ | ١٠٠ | ٢٢١ | ١٠٠ | ٣٢٧ | ١٠٠ |

## أولاً- منظمات الطلبة الأفارقة السود في فرنسة فيما بين ١٩٤٦-١٩٥٠.

بعد وصول الطلبة الأفارقة السود إلى فرنسة بأعداد مهمة منذ غداة الحرب العالمية الثانية لمواصلة تعليمهم في المدارس والمعاهد والجامعات الفرنسية، سرعان ما بدؤوا يعانون من وحدة الغربة والحنين إلى الأهل والوطن، ويلقون العديد من الصعاب المادية والمعنوية في الصعيدين الدراسي والاجتماعي. فأصبحوا يشعرون بحاجة الالتقاء فيما بينهم، وتبادل العون والمساعدة من جهة[١٨]، ومن أجل النضال معاً لدى السلطات المختصة بهدف تحسين ظروفهم المعيشية والمعاشية، وتوفير الظروف الملائمة والأجواء الدراسية المرضية (منح دراسية كافية، مراكز إقامة مناسبة...) خلال إقامتهم في فرنسة.

وقد دفعتهم هذه الأسباب، منذ عام ١٩٤٦، إلى تأسيس العديد من الرابطات والمنظمات الطلابية في باريس وفي المدن الفرنسية الكبيرة الأخرى حيث تتواجد المعاهد العليا والجامعات. ويمكن تصنيف هذه الرابطات والمنظمات في ثلاث فئات. الفئة الأولى وتضم الرابطات الأكاديمية مثل الرابطة العامة للطلبة الأفارقة في باريس AGEAP، التي تأسست في شهر حزيران/ يونيو ١٩٤٦[١٩]، ورابطة الطلبة الأفارقة في بوردو، التي نشأت في شهر آب/ أغسطس ١٩٤٨[٢٠]، وقد انتشر هذا النوع من الرابطات بخاصة في المدن الفرنسية الكبيرة حيث توجد المدارس والمعاهد والجامعات مثل بوردو، ومونبليه، وتولوز، وغرونوبل، إلخ.. وكان عدد الطلبة الأفارقة السود ضئيل نسبياً، ومن ثم فقد كان أعضاؤها ينتمون إلى مختلف المستعمرات الفرنسية في إفريقية السوداء. وقد بلغ عددها ٢٠ رابطة في عام ١٩٥٨[٢١]. وتشمل الفئة الثانية الرابطات القطرية، أي نسبة إلى الأقطار التي ينتمي إليها الطلبة مثل رابطة الطلبة التوغوليين أو توغو الفتاة (آذار / مارس ١٩٤٧)، ورابطة طلبة ساحل العاج في فرنسة(تموز/ يوليو ١٩٤٧)، والاتحاد الوطني للطلبة الكمرونيين (شباط/ فبراير ١٩٤٨)، ورابطة الطلبة الداهوميين في فرنسة (أواخر ١٩٤٨)، ورابطة الطلبة الغابونيين (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٨)، ورابطة طلبة فولتا العليا[٢٢] في فرنسة (تموز/ يوليو ١٩٥٠)، ورابطة الطلبة الغينيين في فرنسة (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٠)، إضافة إلى الرابطات الأخرى، التي أسسها فيما بين ١٩٥١-١٩٥٧، الطلبة من أبناء ما تبقى من مستعمرات فرنسية في إفريقية السوداء[٢٣]. وقد تأسست الرابطات القطرية في باريس حيث كانت أعداد الطلبة الذين ينتمون إلى قطر بعينه أعداداً مهمة نسبياً. وفي عام ١٩٥٤، بلغ عدد الرابطات القطرية ١٤ رابطة[٢٤]. والفئة الثالثة فتضم الرابطات التي تأسست على أساس الانتماء السياسي لأعضائها. مثل رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي AERDA، أو لهدف علمي سياسي، مثل الفريق الإفريقي للبحوث الاقتصادية والسياسية GAREP.

وإن أكدت دساتير هذه الرابطات والمنظمات على أنها منظمات غير سياسية، باستثناء رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي، وأن هدفها الدفاع عن مصالح الطلبة الأفارقة المادية وتحسين الظروف المعيشية والدراسية، وتقديم العون والمساعدة لأعضائها لمتابعة دراستهم وتسهيل إقامتهم في فرنسة، وعقد اللقاءات وتبادل الأفكار بين أعضائها من جهة، ومع الرابطات المماثلة لها من جهة أخرى. وذلك عن طريق تنظيم الرحلات الترفيهية المشتركة والمعسكرات الصيفية، والنشاطات الرياضية والفنية والثقافية، وتنظيم حلقات الدراسة، إلخ...(٢٥)، من جهة أخرى، فما ذلك إلا بهدف الحصول على ترخيص رسمي بشرعيتها من السلطات الفرنسية المختصة، وجذب الطلبة الأفارقة الذين لا يكترثون بالعمل السياسي إلى صفوفها. وسنكتفي هنا بدراسة ثلاث رابطات، كان لها دوراً رائداً في بث الوعي القومي والوطني في نفوس الطلبة الأفارقة السود الذين كانوا يتابعون تحصيلهم العلمي في فرنسة وفي نضالهم، فيما بين ١٩٤٦-١٩٥٢ من أجل استقلال إفريقية السوداء ومهدت السبيل لتأسيس اتحاد طلبة إفريقية السوداء في فرنسة LA FEANF، موضوع بحثنا اللاحق، نقصد الرابطة العامة للطلبة الأفارقة في باريس، وفريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي، ورابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي التي لم تسلط الأضواء عليها حتى الآن.

## ١- الرابطة العامة للطلبة الأفارقة في باريس AGEAP

في ٢١ حزيران ١٩٤٦، انشقت مجموعة من الطلبة الأفارقة الأعضاء في رابطة طلبة المستعمرات Assocsiation des Etudiants Coloniaux عن هذه الرابطة لما وجدوا فيها من التزام شديد بالعمل النقابي فحسب، وأسست **الرابطة العامة للطلبة الأفارقة في باريس** Assocsiation Générale des Etudiants Africains de Paris. وانتخبت السنغالي شيخ فال رئيساً لها(٢٦). ورغم أن هدفها المعلن هو الدفاع عن

المصالح المادية للطلبة الأفارقة، وتحسين شروط حياتهم المعيشية، فقد كان شغلها الشاغل هو "استقلال إفريقية"(٢٧). وكان من أبرز أعضائها وأكثرهم نشاطاً أحمد مختار مبو، وعبد الله لي، وفاضل ديوب، وسيني لوم، ولويس بيهانزان، وفرانسوا موران. وهم الذين شكّلوا نواة الرابطة. وتركز جلّ اهتمامهم على بيان شخصية الطلبة الأفارقة؛ ورفضوا "الاتحاد الفرنسي"، الذي رأوا فيه وجهاً جديداً للنظام الاستعماري، ورغم تأثرهم في هذه النقطة بالذات بالماركسية، فقد كانوا من معارضي الحزب الشيوعي الفرنسي. وسرعان ما تقاسم أعضاء الرابطة ثلاثة تيارات هي: التيار الموالي للتجمع الديمقراطي الإفريقي بقيادة شيخ أنتا ديوب، والتيار الاشتراكي ويتزعمه بوبكر غي، وتيار اللاسياسيين ويقوده حسن سيك ودودو تيام(٢٨).

وإبّان تولي شيخ فال لرئاسة الرابطة (١٩٤٦-١٩٤٩)، غلب على مجلسها الإداري طابع الموالاة للتجمع الديمقراطي الإفريقي، "مخالفاً بذلك رغبة معظم أعضائها" من أنصار الحفاظ على استقلال الرابطة عن جميع الأحزاب السياسية.

لكن أحمد مختار مبو، الذي انتخب رئيساً للرابطة في عام ١٩٤٩، واستمر في رئاستها حتى تاريخ إنهاء دراسته في فرنسة وعودته إلى السنغال في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥١، نجح في إحباط محاولة إثارة الانقسام في صفوفها، التي قام بها طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي المناهضين لفك التحالف الذي كان قائماً بين التجمع والحزب الشيوعي الفرنسي (نظر في هامشنا رقم ٣٧). كما نجح أيضاً في إحكام سلطته عليها وجعلها منظمة نقابية وثقافية، والحفاظ على استقلالها عن جميع الأحزاب السياسية لضمان تماسكها(٢٩). كما لعب مبو، كما سنرى لاحقاً، دوراً حاسماً في تأسيس اتحاد طلبة إفريقية السوداء في فرنسة.

من جهة أخرى، كان للنشاط الثقافي الذي قامت به الرابطة دور مهم في وعي أعضائها للواقع الإفريقي وفي تكوين وعيهم السياسي، وتعرفهم مشكلات العالم المعاصر ولاسيما من خلالها علاقتها بإفريقية(٣٠).

## ٢- فريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي:

بعد الحرب العالمية الثانية أسست مجموعة من الطلبة الأفارقة في **باريس فريق الدراسات السياسية الإفريقي GEAP**(٣١). وكان من أهم منشطيه السنغالي عبد الله لي، والداهومي لويس بيهانزان، ومن أشهر أعضائه أول رئيسين للرابطة العامة للطلبة الأفارقة في باريس شيخ فال وأحمد مختار مبو، والداهومية صولانج فلاد التي ستصبح أول رئيسة لاتحاد طلبة إفريقية السوداء في فرنسة(٣٢). وقد بقي نشاط هذا الفريق نشاطاً سرياً. وهذا ما يفسر شح المصادر التاريخية حوله. فنحن لا نملك سوى وثيقة واحدة نشرها الفريق نفسه في شهر تشرين الثاني ١٩٥١، حين قرر الإفصاح عن أهدافه ونشاطاته بعنوان: الآن ! بيان فريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي ١٩٥١-١٩٥٢*.

أما أهدافه فتتعلق بمناهضة الإمبريالية خدمة "لجماهير إفريقية السوداء بفاعلية، هذه الجماهير التي وحدّها الاستغلال الإمبريالي، طوعاً أو كرهاً ، في الأوضاع والمصير المشترك".

أما اختيار العمل السري، فهو "موقف فرضته أهداف مناهضة الإمبريالية والظروف". والحقيقة أن السرية "كانت خلوة للدراسة، وتركيز من اجل العمل في حقبة تغلغل فيها الفساد والغموض والديماغوجية والتساهل في كل مكان" (ص ٤).

---

*MAINTENANT! Manifeste du Groupe Africain de Recherches Economiques et Politiques 1951-1952.

وكان من أهم ما قام به فريق الدراسات السياسية الإفريقي منذ تأسيسه حتى عام ١٩٥١:

١-في مستوى التنظير: شكّل "حلقات تأهيل وبحوث لمناهضة الإمبريالية. وإن لم تعالج جميع المسائل الجوهرية الخاصة بإفريقية، فإنها تعتقد أنها حققت الأسس الأولية لثقافة واقعية تقوم على العمل ووضحت المسائل الملحة المتعلقة بالمذهب Doctrine والنهج Méthode" (ص ٤).

٢-في مستوى العمل السياسي البحت: بادر بعض أعضاء الفريق، وبمشاركة بعض الطلبة الأفارقة من ذوي النوايا الطيبة، ودعم من الفريق كله، إلى تشكيل فريق للدراسات السياسية الإفريقية حيث أمكن لجميع الطلبة الأفارقة في باريس دون تمييز لانتماءاتهم، أن يلتقوا ويتبادلوا وجهات نظرهم، وتنظيم عمل موحد عند الضرورة" (ص٤).

٣-في مستوى العمل النقابي: قام الفريق بمداخلات في عدة مناسبات للدفاع عن المصلحة المشتركة أو تحمل مسؤولياتها. وكان العامل الأساسي في تحقيق نجاحات مؤكدة (لكن دون أن يعطي البيان أي إيضاحات حولها؟).

ونشط الفريق الرابطة العامة للطلبة الأفارقة في باريس في عهدين "دعيت ببساطة متعمدة أحياناً بعهدي رئيسيها مبو ومن قبله فال" (ص٥).

٤-قام الفريق بدور مهم في تصور أولى المعسكرات الصيفية وطرق تسييرها، التي نظمها الطلبة الأفارقة في فرنسة، وأشرفوا عليها بأنفسهم (في فيرتيماسة، وكوتانس، ومولوز، بمشاركة ٢٠٠ طالباً) (ص ٥).

٥-أسهم الفريق، كما سنرى لاحقاً، إسهاماً مهماً في تأسيس اتحاد طلبة إفريقية السوداء في فرنسة.

وفي عام ١٩٥١[٣٣]، استبدل بفريق الدراسات السياسية الإفريقي فريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي. ووضع برنامجاً لنشاطه حدد فيه الأهداف التي يسعى إليها ووسائل تحقيقها.

فبعد أن قرر أن ساعة تقرير المصير في إفريقية السوداء قد اقتربت، أكد أن خيبة أمل الجيل الصاعد بالماضي الإفريقي الحديث والتجارب السياسية والاقتصادية المعاصرة تجعله يرى بوضوح أنه أمام خيار واحد*: إما أن يعيش خاملاً وملوثاً وفاسداً، وإما أن يكون (جيلاً) رائداً بلا غطرسة يقوم، مع كل ما يتطلب منه ذلك من تبعات ومخاطر وتضحيات، ببناء مجتمع إفريقي عصري، تقدمي وأخوي، يستعيد فيه الإنسان -بعد أن حوله الاستغلال الإمبريالي إلى بهيمة- كرامته الإنسانية، وقدرته الكاملة كمواطن من إنسانية... مسالمة وعادلة" (ص ٩-١٠).

لكن نتيجة لما يتعرض له الطلبة الأفارقة بمنفاهم في فرنسة من دعايات منهجية، واستلابات أيديولوجية وتعبئة سياسية تبقى إفريقية الحقيقية مجهولة بالنسبة لهم، أو لا تحظى بالقدر الكافي من المعرفة، وأولئك الذي يبحثون منهم ويتسلحون بهدف النضال المناهض للإمبريالية في إفريقية السوداء منقسمون على أنفسهم إلى شيوعيين ومناهضين للإمبريالية.

وبما أن إفريقية السوداء في نضالها ضد الإمبريالية بحاجة إلى توحيد جهود أبنائها كافة، فلا بد "من محاربة الانقسام والقضاء عليه". وهذا يحتاج أولاً إلى طرح المسألة الشيوعية "للتخلص نهائياً من الأسطورة القائلة بمناهضة فريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي للشيوعية..". فالفريق يرى أن: "الشيوعية" تجيب عن مسائل تطرحها إفريقية لم يعد بمقدور الإمبريالية المتفسخة الإجابة عنها"، لكنها غير قادرة بمناهجها وحدها على الإجابة عن المسائل المطروحة كلها. فإفريقية الباحثة عن

---

* هكذا وردت في الوثيقة.

نفسها تطرح مشكلات جديدة، وتظهر فيها تيارات مناهضة للإمبريالية غير الشيوعية، وإذا كان من المؤكد أن: "الشيوعيين الأفارقة يقدمون تجربتهم وحلولهم، لأن نضالهم ضد الإمبريالية يمنحهم هذا الحق والقدرة، ويصنفهم بين طليعة الجماهير الإفريقية، فإن "الشيوعية" تشكّل أحد عناصر المعسكر التقدمي في إفريقية السوداء، وليس المعسكر التقدمي كله" (ص ١٠-١١). ومن المهم أن يفهم الشيوعيون الأفارقة ضرورة التعاضد المناهض للإمبريالية، وأن يصبح واضحاً لديهم أن الطريق القويم سيكون طريقاً جديداً لأن المسألة المطروحة مسألة أصيلة وتتطلب (لما لا؟) حلاً جديداً تماماً. مما يجعل "التعددية خصبة ومخصبة بعد محاربة الانقسام والقضاء عليه" (ص١١).

من جهة أخرى، يرى فريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي "أن المهام الثورية الآنية مستحيلة، بل لا يمكن التفكير فيها بدون تأسيس جبهة مناهضة للإمبريالية – بدون توحيد جميع الأحياء (الرجال والمفاهيم) في إفريقية، وبخاصة توحيد الشباب ومنظماتهم لكي يقوموا بأنفسهم بمجابهة الواقع الإفريقي بالأيديولوجيات الحديثة". كما يجب أن يبقى حاضراً في الأذهان قول لينين: "**لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية**" (ص١١)، وأن حزباً تقوده نظرية طليعية هو الحزب الوحيد القادر على القيام بدور المناضل الطليعي" (ص١٢).

وبما أن الانتلجنسيا الإفريقية -نتاج الإمبريالية وخادمتها في إفريقية السوداء- لم تبتكر شيئاً مهما، وثبت عجزها على الصعد كافة، والعناصر التي تعيش على هامش النظام الاستغلالي منها لم تنتج إلا (...) "أحسية انتقائية بدون قوام*"، وبما أن عدم وجود

---

* des soupes élétiques sans constances

نظرية ثورية مناهضة للإمبريالية** في إفريقية السوداء قد يصبح أحد فضائح القرن العشرين، ولم ينجح فشل الحركات الجماهيرية الذريع في إقناع أنصار التطبيقية "Praticisme" الضيقة والبرلمانية الساذجة، فقد أصبح من الواضح، بغض النظر عن جميع صيغ الدعم المباشر للحركات الثورية الإفريقية، أن المهمة الأولى للهجرة المثقفة (أي المثقفين الذين يعيشون في فرنسة) هي الدراسة والتأهيل النظري.

بناء على ما سبق فإن فريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي قد وضع برنامجاً يتألف من قسمين هما الإعداد والتأهيل النظري، والعمل من أجل وحدة القوى التقدمية الإفريقية كلها.

١-الإعداد والتأهيل النظري: في هذا الإطار باشر الفريق بتنظيم:

أ- جلسات تأهيل نظري -سياسي وإعلام (عروض exposés ومحاضرات).

ب- جلسات نقاش نظري وسياسي.

ج- لقاءات دعم واحتجاج أو مطالبة سياسية في إطار النضال المناهض للإمبريالية في إفريقية السوداء.

ويؤكد عزمه على المشاركة مستقبلاً، وبكل استقلالية، في مظاهرات التضامن المناهض للإمبريالية.

---

** ولسد هذه الفجوة سعى منشط هذا الفريق عبد الله لي إلى وضع أسس نظرية مناهضة للإمبريالية بعد عودته إلى السنغال في كتابه: **Les Masses africaines et l'actuelle condition humaine** Paris Présence Africaine, 1956, pp. 25-149, et surtout pp. 123-149.

٢-توحيد القوى التقدمية الإفريقية. في هذا المجال أعلن الفريق أنه سيعمل بكل قواه على تكوين اتحاد واسع يضم جميع القوى التقدمية الإفريقية، بانتظار توفر الظروف المناسبة لتوحيدها.

وفي هذا الإطار يقترح الفريق تشكيل لجنة تنسيق دائمة مهمتها التنسيق بين التيارات والمنظمات السياسية وغير السياسية. وفي حال تعذر ذلك سيقترح الفريق تشكيل فرق تنسيق مؤقتة.

واعتبر الفريق أن هذا البرنامج لا يكتمل إلا بطرح عدد من الشعارات العامة القابلة للتعديل عند الضرورة، توجه الإعداد الفوري لنشاط (تنظيري وعملي) مشترك:

أ- **في الصعيد الاقتصادي والاجتماعي:**

- إلغاء جميع أشكال استغلال الإنسان لأخيه الإنسان القائمة اليوم في إفريقية السوداء.
- بناء هياكل اقتصادية اجتماعية عصرية تواكب حاجات إنسانية تقدمية والجماهير الكادحة (وبخاصة المنتجة) الإفريقية.

ب- **في الصعيد السياسي:** سيادة الحريات الديمقراطية في إفريقية السوداء، وبرلمانات قطرية كاملة السيادة (ص ١٣).

هكذا نرى أن فريق البحوث الاقتصادية والسياسية الإفريقي الذي أسسته مجموعة من الطلبة الأفارقة السود الذين يتابعون تحصيلهم العلمي في باريس، كان فريقا مناهضا للإمبريالية، يرى أن "لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية"، وأن الانتلجنسيا الإفريقية السوداء، التي أفرزها النظام الاستعماري الإمبريالي أثبتت بالتجربة أنها عاجزة عن وضع نظرية ثورية يقوم عليها نضالها. ومن ثم فإن مهمة إعداد مثل هذه النظرية تقع على عاتق المثقفين الأفارقة السود، الذين يعيشون في فرنسة. وبناء على ذلك فقد تبنى

هذا الفريق برنامجاً يهدف إلى تحقيق أمرين: أولهما الإعداد والتأهيل النظري الثوري للطلبة الأفارقة السود في فرنسة كخطوة أولى نحو إعداد النظرية المنشودة؛ وثانيهما العمل على تأسيس جبهة مناهضة للإمبريالية تضم جميع القوى الإفريقية التقدمية، وفي مقدمتهم الشباب ومنظماتهم "لكي يقوموا بمواجهة الواقع الإفريقي بالأيديولوجيات الحديثة". كما رفع عدداً من الشعارات ترمي إلى تحرير إفريقية السوداء من جميع أشكال الاستغلال والعبودية، وتدعو إلى بناء اقتصاد إفريقي حديث يلبي حاجات الجماهير الإفريقية الكادحة، ويسهم في بناء إنسانية تقدمية تقوم على الكفاية والعدل، وتطالب بسيادة الحريات الديمقراطية في إفريقية السوداء، وضمنياً باستقلال بلدانها: "برلمانات ديمقراطية كاملة السيادة".

## ٣- رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي: AERDA:

في عام ١٩٤٧، حينما كان التجمع الديمقراطي الإفريقي في أوج تصاعده(٣٤)، حض رئيسه فيلكس هوفيت-بواني الطلبة الأفارقة الأعضاء في التجمع، الذين يتابعون تعليمهم في باريس على تأسيس **رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي**. وكان ما يهمه آنذاك أن يرى الطلبة الأفارقة يقفون إلى جانبه، ويدعمون نشاط ممثلي التجمع في المجالس البرلمانية الفرنسية والاتحادية. لكن بعد أن أخذ وضع التجمع الديمقراطي الإفريقي يتأزم منذ عام ١٩٤٩، دخلت الرابطة في مرحلة السبات لأنها لم تعد تحظى بدعم هذا التجمع لها(٣٥). لكن رأى بعض أعضائها وفي مقدمتهم شيخ أنتا ديوب أن ما يقومون به من دراسات لا معنى لها ما لم تكن في السياق السياسي لتلك الحقبة، وأن على الطلبة الأفارقة أن ينخرطوا في العمل السياسي علناً وفي كل مكان. وفي شهر تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٠، عين طلبة الرابطة شيخ أنتا ديوب أميناً عاماً لها. وفي ٢٣ من الشهر نفسه حصلت الرابطة على ترخيص رسمي لها(٣٦)، أي بعد إعلان التجمع الديمقراطي الإفريقي فك التحالف بينه وبين الحزب الشيوعي الفرنسي(٣٧)،

وانقسام قادة التجمع وفروعه بين مؤيد لفك التحالف بقيادة هوفيت-بواني، ومعارض له بزعامة أمينه العام جورج دار بوسيه، وقد انضمت الرابطة إلى الجناح المعارض.

أ- **أهداف الرابطة:** حددت الرابطة أهدافها على النحو التالي:

١-لمّ شمل جميع الطلبة الديمقراطيين الراغبين في الدفاع عن القضية الإفريقية في إطار التجمع الديمقراطي الإفريقي[٣٨]، بهدف الإسهام، رغم بعدهم عن إفريقية، في نضال الشعوب الإفريقية من أجل تحررها من النظام الاستعماري تحرراً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً بهدف الاستقلال القومي[٣٩].

٢-صون وعي الطلبة الأفارقة بالمشكلات الإفريقية، وتذكيرهم دوماً بأن الحياة في الميتروبول (فرنسة) يجب ألا تنسيهم بأي حال من الأحوال أن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المطروحة في إفريقية ليست هي المشكلات نفسها المطروحة في الميتروبول في فرنسة[٤٠].

٣-النضال من أجل توفير أوضاع معيشية وأجواء دراسية مرضية للطلبة الأفارقة (منح دراسية، مراكز إقامة، فنادق) خلال إقامتهم في فرنسة، وأن تشمل هذه التدابير أعداداً متزايدة باستمرار من الطلبة الأفارقة[٤١].

ب- **برنامج الرابطة:** في إطار النضال من أجل الاستقلال القومي، وضعت الرابطة برنامجاً يتضمن البنود التالية[٤٢]:

١-التحرك أمام الحكومة والبرلمان وأمام الرأي العام الفرنسي لفضح مساوئ النظام الاستعماري واستنكارها.

٢-متابعة أعمال النواب الأفارقة عن كسب ودعم نشاطهم البرلماني، أو على العكس تنبيه الأفارقة قليلي الاطلاع أو المضللين إلى خيانة هؤلاء النواب لتوكيلاتهم.

٣-تزويد إخوانا الأفارقة بمعلومات وإيضاحات تساعدهم في نضالهم، والحرص، رغم بعدنا، على "عدم انسلاخنا عن جمهور الأفارقة الذي هو سبب نضالنا"، والعمل على "توثيق العلاقات مع حركات الشباب والطلبة الأفارقة في إفريقية، ومع التجمع الديمقراطي الإفريقي".

٤-عدم الانعزال "عن حلفائنا". وذلك بإقامة علاقات وتحالفات مع منظمات الطلبة الأفارقة، الذين يعانون من قمع الدول الاستعمارية الأخرى سواء أكان ذلك في فرنسة أم في عواصم الدول الأوروبية الأخرى مثل اتحاد طلبة إفريقية الغربية بإنكلترة، ومع طلبة أبناء البلدان الأخرى ، التي تعاني من النظام الاستعماري وتناضل ضده، ومع منظمات الطلبة العالمية مثل اتحاد الطلبة الأممي L' Union Internationale des Etudiants، ومع من يناضل من الفرنسيين ضد النظام الإمبريالي. أو بكلمات أخرى الحفاظ على تحالفات رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي مع قوى العالم كافة التي تدعم نضالنا وتقوم بنضال مماثل. وذلك نظراً لما لهذا التحالف من أهمية في المعركة الكبرى ضد الإمبريالية ومن أجل السلام العالمي.

٥-النضال "بكل قوانا:" للحيلولة "دون تحول بلدنا [إفريقية] إلى قاعدة استراتيجية [عسكرية] ضخمة وإلى مستودع مادي [للمواد الأولية]، وبشري مع كل ما يحمل ذلك من قمع متزايد الشدة وبؤس وقتلى".

٦-تنظيم جلسات عمل جماعي ودروس خصوصية في مختلف الاختصاصات، إلخ... داخل الرابطة لمساعدة أعضائها على متابعة دروسهم وإحراز النجاح فيها.

وبدءاً من شهر شباط / فبراير ١٩٥٢، أصبح للرابطة صحيفة شهرية تنطق باسمها هي **صوت إفريقية السوداء**، شعارها: "وعي من خلال النضال، تنظيم، التزام*".

---

* Parise de Conscience dans la lutte, Organisation, Discipline.

ومديرها السياسي شيخ أنتا ديوب، ومسؤول تحريرها أبو بكر نيان. والغرض منها إسماع صوت رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي في الوقت الذي تتسارع فيه عملية تصفية النظام الاستعماري الإمبريالي في العالم كله، والإسهام في "نضال رجال ونساء بلداننا إسهاماً أكثر إيجابية، ولكي يعلم شعبنا أن طلابه معه". وذلك عن طريق[٤٣]:

١-تعويض النقص، بحدود متواضعة جداً، في "الصحف الديمقراطية" في بلداننا "الناجم أساساً عن القمع المستمر والمنظم" لهذا النوع من الصحف.

٢-اطلاع الفرنسيين على حقيقة الواقع الاستعماري، أي على واقع "القمع والذّل الذي يتعرض له شعبنا يومياً" على أيدي أولئك الذين يقتلون وينهبون باسم "مهمتهم الحضارية" المقدسة، بهدف "منح إخواننا المناضلين حلفاء جدد في أوساط الشعب الفرنسي" المشهود له بمناهضة الاستعمار وأنصاره.

٣-تكريس الصحيفة وسيلة اتصال بين طلبة الرابطة من جهة، والشباب والعمال الأفارقة من جهة أخرى.

## ج - الرابطة والنضال من أجل الاستقلال القومي:

تجلّى نشاط رابطة التجمع الديمقراطي الإفريقي في إطار النضال من أجل الاستقلال القومي في محاولة رسم إيديولوجية لهذا النضال، وفي معارضة التوجه السياسي للتجمع الديمقراطي الإفريقي بعد تبنيه لما عرف بسياسة "الانطواء الاستراتيجي".

### ١- "نحو إيديولوجية سياسية إفريقية"

في دراسة بعنوان "نحو إيديولوجية سياسية إفريقية"[٤٤]، حاول أمين عام رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي شيخ أنتا ديوب، وضع الخطوط العريضة لإيديولوجية سياسية إفريقية للنضال من أجل الاستقلال القومي.

تناول القسم الأول منها(٤٥)، أول أهداف هذا النضال وهو "إثارة وعي أفارقة إفريقية السوداء كافة"، أي العمل على جعل كل إفريقي يدرك جملة من الأمور وهي: إن على المرء أن يناضل من أجل أفكار لا من أجل أشخاص، وأن مصير كل شعب هو بالدرجة الأولى بين يديه...، وأن بالإمكان تحسينَ هذا المصير على الأرض بوسيلة طبيعية سبق أن استخدمتها شعوب أخرى بنجاح وهي النضال الجماعي والمنظم المتلائم مع ظروف الحياة...، وأن الشعب في هذا النضال لا يمكن أن يستغني عن طليعة avant-garde توجه نضاله، غير أن بإمكانه ومن واجبه ممارسة الرقابة عليها بتجرد من كل عاطفة، وأن هناك استغلال رأسمالي هو سبب جميع أنواع البؤس وأن القضاء عليه مرهون بالقضاء على النظام الاستعماري، وأن جميع الأفارقة يشكلون طبقة مستغَلّة، وعليها وبإمكانها أن تناضل من أجل القضاء على هذا الاستغلال...، ومن ثم فإن، بالإضافة إلى الأهداف الفورية (زيادة الرواتب والأجور، وزيادة أسعار المنتجات الزراعية التصديرية، والمطالبة بشخصية حقوقية سياسية، والمشاركة بالسلطة التنفيذية المحلية، إلخ...) هناك **الهدف النهائي وهو الاستقلال القومي للقارة الإفريقية والإيمان الراسخ بإمكان تحقيقه***.

وفي القسم الثاني(٤٦) حلّل العقبات الاجتماعية والنفسية التي تحول دون تحقيق هذا النوع من الوعي. وأشار إلى ما قام به شيخ أنتا نفسه من دراسات لتذليل بعضها مثل الدراسة التاريخية للأصول الزنجية للحضارة الفرعونية المصرية ودورها الريادي في العالم، ودحض الأسطورة القائلة: "إن إفريقية بلا تاريخ"، والتأكيد على استمرارية هذا التاريخ، ومن ثم ردّ الاعتبار للشخصية الإفريقية المميزة التي سعى النظام الاستعماري لمحوها. وهذا ما يجعل الرجل الإفريقي الأسود يستعيد ثقته بنفسه، ويثير لديه شعوراً مشروعاً بالفخر بالانتماء إلى حضارة عريقة بالقدم "يتعارض مع فكرة النير الأجنبي أياً كان شكله"(٤٧).

---

* التأكيد من قبلنا.

وبحث في القسم الثالث[٤٨]، سبل ووسائل إثارة هذا النوع من الوعي، وتنظيم جميع الأفارقة من عمال وموظفين ومستخدمين وفلاحين... وتعبئتهم بهدف النضال الجماعي من أجل التحرر الوطني، وأكّد أهمية دور "الصفوة المختارة" في اختيار أهداف النضال ووسائله، والارتقاء التدريجي من النضال دفاعاً عن المصالح الخاصة حتى النضال من أجل التحرر الوطني، أي ربط النضال في البداية بالمصالح الآنية لكافة عناصر الشعب والدفاع عنها، ثم الانتقال بهذا النضال تدريجياً إلى النضال من أجل التحرر الوطني. وذلك بطرح المسائل السياسية أثناء النضال من أجل لقمة العيش. "يجب التفنن بتقديم ميكنزم الاستغلال بصورة مؤثرة لكن واقعية، وإعطاء فكرة عما يمكن أن يكون عليه مستوى المعيشة فيما لو كنا نستفيد، نحن أنفسنا، "من ثروات بلدنا". وشدد على أهمية تنسيق هذا النضال في مستوى القارة الإفريقية كلها. ذلك أنه "لكي يصل النضال إلى أقصى درجة من الفاعلية علينا تجاوز ما يوضع أمامنا عمداً من عقبات محلية، والوصول إلى تنسيق النضال في مستوى إفريقية كلها. من المهم أن يدرك الأفارقة أن مشكلات أية منطقة من إفريقية، مهما بدا أنها مشكلات خاصة بها، هي في الجوهر مشكلات قارية"، وأي خطر يهدد إحدى مناطقها، يهدد القارة كلها. وأبرز أهمية طرح فكرة تأسيس اتحاد دول ديمقراطية إفريقية. ذلك "أن إفريقية سوداء مستقلة لن تنعم بالاستقرار الاقتصادي والسياسي ما لم تمتد من الصحراء إلى الكاب. فالمناطق الاستوائية فقيرة ولا يمكنها الاستغناء عن أحواض خط الاعتدال والكاب، بحيث أنها إذا وقعت هاتان المنطقتان تحت سيطرة الفاشية التي ستنتقل إلى إفريقية [عن طريق دول جنوب إفريقية]، فإن إفريقية السوداء كلها ستصبح فريسة بلا دفاع. لذا فإن من المهم أن يُطرح كمبدأ فكرة اتحاد دول ديمقراطية إفريقية تمتد من الصحراء حتى الكاب، مروراً بالسودان الإنكليزي –المصري"[٤٩].

واستعرض القسم الأخير من الدراسة القوى الجديدة، التي تتصارع على إفريقية السوداء وتحاول ابتلاعها وهي دولة إفريقية الجنوبية، ومصر الإقطاعية، والولايات

المتحدة الأمريكية، والتحالف الأوروبي المقدس المحتضر، الذي يحاول دمج إفريقية في أوروبة[٥٠]، و"الأسلحة" التي تضمن سلامة إفريقية أمام هذا الوضع. فبما أن إفريقية معزولة جغرافياً عن البلدان التقدمية فعلينا نحن الإفريقيين[٥١]:

١- أن نفهم إذن أن سلامتنا تعتمد بالدرجة الأولى علينا. وجعل كل شيء يعتمد على العون الخارجي يعد انهزامية لا شعورية، والعون الخارجي لن يكون ممكناً وفعالاً ما لم نكن قد بدأنا النضال.

٢- تحقيق الوعي من خلال النضال.

٣- التنظيم ، التنظيم، التنظيم، ودائماً التنظيم بكافة صيغه وأشكاله.

٤- الالتزام Discipline.

٥- النضال من أجل انتصار النظام الديمقراطي في الدول الأوروبية التي تستعمرنا.

وبهذه "الأسلحة" لن يتمكن أحد من الوقوف بوجهنا في إفريقية حتى لو كان يمتلك قنابل ذرية تكتيكية [؟!].

ثم أشار إلى المهام الآنية لأعضاء رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي، وهي[٥٢]:

١- إنقاذ التجمع الديمقراطي الإفريقي بمساعدته على "تخطي الأزمة التي يمر بها"، لأنه ليس حركة أشخاص بعينهم يُحكم عليه من خلال أعمالهم، وإنما "حركة سياسية تجسم إرادة التحرر القومي".

٢- العمل على خلق مناخ للنضال بحيث يصبح بقاء الإفريقي غير مكترث به أمراً مخزياً بالنسبة له.

٣- السعي إلى إلزام الطلبة الأفارقة بالنضال اقتداء بطلبة الرابطة.

٤- التخلي عن عزلة الطلبة الأفارقة التقليدية عن نوابهم، والاتصال بهم والاستعلام منهم عن نشاطاتهم البرلمانية بهدف دعمهم في تلك التي تنسجم مع مبادئ التجمع الديمقراطي الإفريقي، ومحاربتهم حين مخالفتها.

٥- السعي إلى تأسيس أوسع اتحاد بين طلبة الرابطة ورفاقهم الآخرين الذين يعيشون في ظل الأنظمة الاستعمارية الأخرى.

٦- العمل على تعرف إفريقية في الصعد كافة لكي يمكنهم خدمتها على أفضل وجه.

وانتهت الدراسة بتوجيه نداء إلى الرفاق الأفارقة في فرنسة وإفريقية[٥٣]، للانضمام إلى حركة التجمع الديمقراطي الإفريقي، وتعزيزها بتقديم البناء لها ونضالهم الفعلي في صفوفها، لأنها الحركة الوحيدة التي أثارت فاعليتها في المستوى الإفريقي القمع الوحشي الذي يعرفونه[٥٤].

## ٢- الرابطة ضد التوجه السياسي الجديد للتجمع الديمقراطي الإفريقي:

لم تكتفِ رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي بإعلان رفضها للتوجه السياسي الجديد الذي تبناه قادة التجمع بعد فك التحالف مع الحزب الشيوعي الفرنسي في ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٠، ورصد أقوالهم وأفعالهم التي لا تنسجم مع مبادئ التجمع ومثله الأعلى المناهض للاستعمار، بل عملت أيضاً على فضح "جحود هوفيت-بوني وفلول هيئة أركانه وما قدموه من تنازلات جعلتهم يظهرون على حقيقتهم كعملاء مبتذلين للنظام الاستعماري"، ومناورة الإدارة الاستعمارية التي كانت وراء هذه التنازلات. تلك المناورة التي لم تكن "تشكّل [آنذاك] سوى المرحلة الأخيرة من المؤامرة الكبرى التي دبرها الاستعماريون الفرنسيون ضد شعبنا منذ ست سنوات"، والهادفة إلى "العودة عن الحقوق السيسية والاقتصادية التي حصل عليها الأفارقة" غداة الحرب العالمية الثانية من جهة، وإلى "خلق مناخ سياسي يضمن دمج إفريقية دمجاً كاملاً في الحرب الإمبريالية ضد الحرية والسلام"[٥٥]، من جهة أخرى.

وتحقيق مثل هذا الهدف المضاعف يقتضي محاولة "القضاء على مقاومة الشعوب الإفريقية وتحطين إرادة التحرر المنظمة والفعالة لهذه الإدارة". أي "محاولة القضاء بكل الوسائل" على التجمع الديمقراطي "المترجم الملموس لهذه الإرادة" وذلك بافتعال الإدارة الاستعمارية الأجواء المناسبة للقيام بمجزرة في ساحل العاج (مركز التجمع العصبي) مماثلة لتلك التي ارتكبتها في مدغشقر في عام ١٩٤٧(٥٦).

لكن رغم الأحداث الدامية التي شهدها ساحل العاج في أواخر ١٩٤٩، ومطلع ١٩٥٠، فقد فشلت تلك المحاولة بفضل "برودة دم المناضلين والجماهير وحسهم السياسي"، و"لم يتحول ساحل العاج إلى مدغشقر جديدة". وظهر بوضوح إبّان محاكمات المعتقلين السياسيين تماسك التجمع أكثر من أي وقت مضى، ومن ثم أنه لا يمكن القضاء عليه بالعنف (وهذا ما يكذب تصريحات هوفيت-بواني بهذا الخصوص). عندئذٍ قررت الإدارة الاستعمارية القضاء على التجمع من داخله بممارسة الضغوط على قادته، ودفعهم باطراد لتعريض أنفسهم للشبهة بهدف خلق مناخ من الفوضى وتثبيط همم المناضلين، واستخدام هؤلاء القادة بعد تورطهم بما فيه الكفاية مع الإدارة الاستعمارية في محاولة لتحويل التجمع عن سياسته المناهضة للاستعمار. وباستخدام حكيم لوسائل الترهيب والترغيب، والابتزاز (بمناسبة اختفاء السناتور بياكا بودا) والتهديد (بعدم نجاحهم ثانية في الانتخابات التشريعية، ورفع الحصانة البرلمانية عنهم) نجحت الإدارة الاستعمارية في دفع نواب التجمع إلى تغيير التوجه السياسي للتجمع بشكل مفاجئ في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٠(٥٧). وقد تجلى هذا التغيير، حسب رأي الرابطة، في التوجه السياسي الجديد للتجمع في مستويين البرلماني في فرنسة والمحلي الإفريقي.

في المستوى البرلماني(٥٨)، تمثل هذا التغيير بتقديم العديد من التنازلات على حساب المبادئ التي حكمت نضال التجمع الديمقراطي الإفريقي وميزته عن غيره من الحركات السياسية الإفريقية. ففي موافقة نواب التجمع على ما اقترحته الحكومة الفرنسية من تدابير تساعد على استمرار الحرب الظالمة في الهند الصينية، قضوا

"على التضامن الضروري* بين الشعب الإفريقي من جهة، وشعوب فرنسة وفيتنام التي تناضل ضد الاضطهاد الرأسمالي والإمبريالي من جهة أخرى". وبمنحهم الثقة للحكومات الفرنسية المتعاقبة منذ الدورة البرلمانية الثانية لعام ١٩٥١، أعلنوا عن تضامنهم مع السياسية الاستعمارية الحازمة والمعادية للديمقراطية لهذه الحكومات. و"بموافقتهم على قانون تزييف الانتخابات التشريعية سمحوا بخروج عدد منهم من النواب الأصدقاء للشعب الإفريقي".

وفي المستوى المحلي الإفريقي(٥٩)، تجلى هذا التغيير في التوجه السياسي للتجمع بالعديد من تصريحات ومساومات نواب التجمع وما نجم عنها من عواقب أكثر وخامة بعد، مثل تخلي هوفيت-بواني عن المعتقلين السياسيين العاجيين البالغ عددهم ٤٠٠ معتقلاً أثناء محاكماتهم بأنه سيترك "للعدالة" العناية بتقدير أمرهم، وما أدى إليه ذلك من تبرئة ساحة الإدارة الاستعمارية المجرمة وتحميل مسؤولية جرائمها لضحاياها. ومساعدته لمن "يريدون تحويل بلدنا إلى ساحة للحرب الذرية، وتهديد شعبنا بأسوأ الأخطار بموافقته على اشتراك الأفارقة غير المشروط في الحرب الأمريكية"، ووضع هوفيت- بواني نفسه وشركاؤه في خدمة النظام الاستعماري بتمجيده الإدارة الاستعمارية و "مهمتها النبيلة" ودعوته المناضلين للتخلي عن النضال الفعال.

وانتهت الرابطة إلى التأكيد على(٦٠):

- عدم جدوى سياسة التعاون الجديدة مع الحكومات الفرنسية التي اختارها نواب التجمع بسبب رفض الجماهير الإفريقية لها لمعرفتها بأنها ضد مصالحها.
- استمرار المعركة لأن الجماهير هي الأساس.
- إن التجمع الديمقراطي لن يفسد، وسيطهر نفسه بتنقيته من خلال نضال الجماهير الإفريقية، وسيقوم بمهمته التاريخية حتى النصر. وسينتصر لأنه ليس وحده.

* هكذا وردت في النص.

فهناك الشعوب المضطهدة في الهند الصينية وإيران ومصر وتونس والمغرب، التي توجه ضربات حاسمة **تكرس احتضار الإمبريالية**[*].

- إن الشعوب الإفريقية ستواصل هي الأخرى المعركة مع مناضلي التجمع، الذين لم يتنكروا لمثلهم الأعلى (مناهضة الاستعمار) وما أكثرهم. **معهم كنا، ومعهم نبقى**[**]، وسنأخذ مكاننا إلى جانبهم بشكل مواز مع دراستنا التي نجد فيها.
- إنها ستفضح الاضطهاد والاستغلال الوحشي-جوهري النظام الاستعماري، أمام ديمقراطيّ فرنسة، وستتكلم عن فداحة بؤس الفلاح والزراع والعامل الإفريقي، والجهل المنظم في أوساط الجماهير الإفريقية ومحافظة الإدارة الاستعمارية عليها بعناية.
- إنها ستدعم، بالعرائض والوفود، إلخ...، "من نوابنا الأفارقة من يدافع منهم عن مطالب الجماهير الإفريقية ومصالحها. أما من يخون منهم الوكالة المفوضة إليهم، فليكونوا على ثقة بأننا لن نتوانى عنهم".

والخلاصة أن رابطة طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي تميزت عن المنظمات الطلابية الأخرى بأمرين:

١- أنها لدى تأسيسها أعلنت بصراحة ووضوح أنها رابطة سياسية، وأنه لا يمكن الفصل بين النضال الطلابي النقابي وبين النضال من أجل الاستقلال القومي، ودعت الطلبة الأفارقة السود إلى الانخراط العلني في العمل السياسي، وتكريس ما يقومون به من دراسات لخدمة القضايا والمشكلات الإفريقية بحيث تسهم في دعم تلك القضايا، وتسعى إلى إيجاد الحلول المناسبة لهذه المشكلات بما يحقق

* هكذا وردت في النص.

** التأكيد من قبلنا

مصالح الشعوب الإفريقية. وأرادت الرابطة لنفسها أن تكون رابطة لجميع الطلبة الأفارقة السود الديمقراطيين الراغبين في الدفاع عن القضية الإفريقية والإسهام في نضال الشعوب الإفريقية من أجل تحررها واستقلالها القومي.

٢- إنها أول منظمة طلبية، بل شبابية من إفريقية السوداء الخاضعة للسيطرة الاستعمارية الفرنسية تحاول رسم إيديولوجية سياسية إفريقية للنضال من أجل الاستقلال القومي، وتطرح فكرة تأسيس اتحاد دول ديمقراطية إفريقية كشرط لضمان استقلال إفريقية السوداء واستقرارها الاقتصادي والسياسي.

## الخاتمة:

بعد تتبّع تاريخ الحركة الطلابية الإفريقية السوداء في فرنسة فيما بين ١٩٤٦-١٩٥٢، تبيّن لنا أن هذه الحركة مرّت بمرحلتين لكل منها سماتها الخاصة:

أ- **المرحلة الأولى ١٩٤٦-١٩٥٠**: رغم أن معلوماتنا قليلة عنها نسبياً، فإننا نلاحظ أنها اتسمت بعدّة سمات أهمها:

١-تشتت الطلبة وتوزعهم بين العديد من المنظمات الطلابية الإفريقية السوداء القطرية أو الأكاديمية، النقابية منها والسياسية، وعدم وجود منظمة واحدة تجمع صفوفهم وتمثلهم جميعاً.

٢-تركز نشاط الغالبية العظمى من هذه المنظمات على العمل النقابي، أي على الدفاع عن حقوق ومصالح الطلبة المادية والمعنوية، وقيامها بنشاط ثقافي على درجة من الأهمية بحيث أسهمت في وعي الطلبة للواقع الإفريقي، وفي تكوين وعيهم السياسي والقومي، وتعرفهم مشكلات إفريقية السوداء، ومشكلات العالم المعاصر ولاسيما من خلال علاقتها بإفريقية السوداء. رغم أن استقلال إفريقية لم يكن غائباً من أذهان مناضليها.

٣-إن عدم انخراط الغالبية العظمى منها بالعمل السياسي، لا يعني أن الطلبة الأفارقة السود في فرنسة لم يمارسوا أي نشاط سياسي في هذه المرحلة، وذلك لأن معظمهم اختار النضال السياسي من داخل حركة التجمع الديمقراطي الإفريقي التي اختارت استراتيجية النضال الثوري من أجل تحرير الشعوب الإفريقية من نير الاستعمار الفرنسي، وأصبحت طليعة حركة التحرر الوطني في المستعمرات الفرنسية في إفريقية السوداء وقائدتها.

ب- **المرحلة الثانية ١٩٥١-١٩٥٢**: بعد "الردة التاريخية المفاجئة" لحركة التجمع الديمقراطي الإفريقي التي تمثلت بتخليها عن استراتيجية "النضال الثوري"، وتبنيها سياسة "الانطواء الاستراتيجي"، أي سياسة التقرب من الحكومة الفرنسية الاستعمارية والتعاون مع الإدارات الاستعمارية المحلية "والتأكيد بالأفعال أن النواب [الأفارقة] ينوون الدفاع عن الشعوب [الإفريقية]، في جميع الظروف والأحوال في إطار الاتحاد الفرنسي"(٦١)، رفض الطلبة الأفارقة السود في فرنسة "سياسة الاستسلام". وكانت أهم سمات الحركة الطلابية في هذه المرحلة:

١-نجاح الطلبة في التخلص من وصاية جيل الآباء، الذي نشأ وترعرع في ظل النظام الاستعماري الفرنسي القائم، فيما بين ١٩٠٠-١٩٤٥، على سياسة "استيعاب" الصفوة المختارة الإفريقية(٦٢). وطرح شعار الاستقلال القومي والوحدة الإفريقية.

٢-وضع الخطوط العريضة لأيديولوجية سياسية إفريقية للنضال إلى جانب الشعوب الإفريقية من أجل الاستقلال القومي.

٣-الاهتمام بالإعداد والتأهيل النظري الثوري للطلبة كخطوة أولى نحو إعداد "نظرية ثورية لمناهضة الإمبريالية".

٤-طرح فكرة تأسيس اتحاد دول ديمقراطية إفريقية على مستوى القارة كشرط لضمان استقلال إفريقية السوداء واستقرارها الاقتصادي والسياسي.

٥-تأسيس اتحاد يضم جميع رابطات طلبة إفريقية السوداء بهدف مواصلة النضال الثوري من أجل تحرير إفريقية السوداء من ربقة الاستعمار الفرنسي، هو اتحاد طلبة إفريقية السوداء في فرنسة LA FEANF. وهو موضوع بحثنا التالي الذي سينشر في العدد القادم من المجلة نفسها.

# الهوامش

(١) بدايات الثمانينيات بالنسبة لإفريقية العربيـــة، وبدايـــات التســـعينيات بالنســـبة لإفريقية السمراء.

(2) Charles-Robert AGRON, L'Association des étudiants musulmans nord-africains en France durant l'entre-deux-guerres. In: **Revue Française d'Histoire d'Outre-Mer,** Tom LXX, nos *25* 8-259, 1983.

(3) **Le Rôle des mouvements d'étudiants africains dans l'évolution politique et sociale de l'Afrique de 1900 a 1975**, Paris, UNESCO/ l'Harmattan, 1993.

(4) Sabah KAADAN, Nationalisme et Prise de conscience nationale en AOF, **Thèse de Doctorat d'Etat**, Paris I, 1985, 2vols, vol.2, p.666bis.

(5) Ibid. vol. I, pp.251-256.

(6) Cf. E. MILCENT, **L'AOF entre en scène**, Paris, Témoinage Chrétien, 1958, op. cit.; J. DEBEY, **Evolution en Afrique Noire**, Paris, Edition de l'Epargne, 1962; J.-R. de BENOIST, **L'Afrique Occidentale Française 1946-1960,** Dakar/ Les Nouvelles Editions Africaines, 1985.

(7) Abdou MOUMOUNI, **L'Education en Afrique,** Paris, Maspero, 1964, p.104.

(8) J.-R. de BENQIST, op. cit., p.256.

(9) Cf. A. MQUMOUNI, op. cit., p.114 et pp.110-113.

(10) La Fédération des Etudiants d 'Afrique Noire en France (FEANF), **Ministêre de l' Intérieur, Exemplaire no 12, mars 1959, Rapport du Sous-Direction de l' Information, Direction de Renseignements Généraux,** ronéoté, p.9.

(11) Voir: Allocution de la séance d'ouverture du 5ème Gongrês de la FEANF, prononcée par son vice-président CHEIKH KAN (janvier 1950).

(12) Les problèmes politiques en AOF, **Rapport du Haut-Comissaire B.C. GENTEILLE,** 1954, 138pp. ronéotées, p.28.

(13) Discours du Président sortants BA HAMAT. Dix ans de lutte des étudiants d'Afrique noire. In: **L' Etudiant d 'Afrique Noire,** no28, Jav.-Fév.1960, p.6.

(14) La FEANF. **M.I...,** op. cit.. pp.5-6.

(15) Ibid., p.5.

(16) Cf. Jean SURET-CANALE. **Afrique Noire. De la Colonisation aux Indépendances 1945-1960,** Paris, Ed. Sociales. 1972. pp.13-14.

(١٧) الجدول نقلاً عن: J.-R. de BENOIST. op. cit.. p.273. والنسب من عملنا

(18) R. BASTIDE. Les Etudiants d 'Afrique noire en France. In: **Encyclopédie Mensuelle d'Outre-Mer,** no8O. Avril 1957.

(19) La FEANF. **M.I..,** op. cit., p.6.

(20) In: **Réveil,** no325. 16 Aout 1947.

(21) La FEANF. **M.I...,** op. cit.

(٢٢) التي أصبحت منذ ١٩٥٨ تعرف باسم "فولتا الفتاة Jeune Volta".

(٢٣) وهي رابطة الطلبة السودانيين (نسبة إلى السودان الفرنسي/مالي حالياً) في فرنسة (كانون الأول ١٩٥١، ورابطة الطلبة الكونغوليين في فرنسة في تشرين الأول ١٩٥٢)، ورابطة الطلبة السنغاليين في فرنسة، (تشرين الثاني ١٩٥٢)، ورابطة الطلبة النيجريين في فرنسة (أيلول ١٩٥٣)، ورابطة الطلبة التشاديين (آب ١٩٥٤)، ورابطة الطلبة الأوبانغيين (شباط ١٩٥٥)، ورابطة الطلبة الموريتانيين في فرنسة (كانون الثاني ١٩٥٦).

(٢٤) ثمان منها تمثل المستعمرات الفرنسية الثمانية في إفريقية الغربية بالإضافة إلى التوغو، وأربع أخرى تمثل المستعمرات الفرنسية في إفريقية الاستوائية بالإضافة إلى الكاميرون.

(25) **Le Rôe des mouvements d'étudiants africains...,** op. cit., p.14.

(26) In: **Réveil,** op. cit., Titre II: Buts et Moyens d'Action, Arts.5-6.

*(27)* J.-R. de **BENOIST, La France et l'autorités coloniales,** op. cit., p.275.

*(28)* J.-R. de **BENOIST, L'Afrique Occidentale Françaisȩ...,** op. cit., p.275.

(29) J.-R. de BENOIST, La FEANF et les autorités coloniales. In: **Le Rôle des Mouvements d 'Etudiants Africains...,** op. cit., p.115.

(30) Cf. G. LAGANE, Les Mouvements et Organisations de Jenesse en Afrique Noire Fraçaise (1950-1960), **Mémoire de Maitrise** d'Enseigne-ment d'Histoire, Centre de Recherches Africaines, Université de Paris I, (Sorbonne), 1975.

(٣١) مقابلة الباحث مع السيد عبد الله لي في السنغال بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٧٨.

(٣٢) انظر حاشيتنا رقم (٢٨).

(٣٣) وليس في عام ١٩٤٧ كما ورد في المدخل الذي قدم به A.A. du BOAHEN لكتاب **Le Rôle des Mouvements d'Etudiants Africains...**,op. cit., p.14.

(٣٤) على أثر الحملات الشرسة التي شنتها القوى الرجعية الفرنسية وفي مقدمتها "أركان الاستعمار العامة"، ضد التوجه الليبرالي للمشروع الأول للدستور، الذي تبنته الجمعية التأسيسية الفرنسية في شهر نيسان/ أبريل ١٩٤٦، وما اكتسبه أبناء المستعمرات الفرنسية في إفريقية السوداء من حقوق وحريات بفضل جهود النواب الإفريقيين ودعم القوى الديمقراطية الفرنسية في هذه الجمعية، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي الفرنسي، تأسس حزب "التجمع الديمقراطي الإفريقي" (بامكو، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٧). وفي عام ١٩٤٨، بلغ عدد الأحزاب التي في تشكّل فروعاً لهذا "التجمع" اثنا عشر حزباً موزعة على اثني عشر بلداً من بلدان ما وراء البحار الفرنسية في إفريقية والبالغ عددها أربع عشرة بلداً، فأصبح بذلك أو حزب "دولي" فيها،

وهدفه المحافظة على المكتسبات الشعبية التي اكتسبتها شعوب إفريقية السوداء بعد الحرب العالمية الثانية، والمطالبة باحترام الشخصية الإفريقية. واختار النضال الثوري سلاحاً لتحرير إفريقية السوداء من نير الاستعمار الفرنسي. وتحالف مع الحزب الشيوعي الفرنسي ممثل القوى الديمقراطية الفرنسية والشريك في الحكومة الائتلافية الحاكمة، وذلك عملاً ببرنامج "التجمع". من أجل مزيد من التفاصيل انظر بحثنا الذي سينشر في العدد القادم في المجلة نفسها بعنوان: "الدور الريادي لاتحاد طلبة إفريقية السوداء في فرنسة (la FEANF) من الحركة الوطنية في المستعمرات الفرنسية في إفريقية السوداء ١٩٥٠-١٩٦٠.

(٣٥) مقابلة الباحث مع شيخ أنتا ديوب في السنغال بتاريخ ٢ شباط ١٩٧٨.

(٣٦) **Le Rôle des Mouvements d' Etudiants Africains...**, op. cit.

(٣٧) إن المد الكاسح الذي حققه حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي في بلدان ما وراء البحار في إفريقية السوداء وتحالفه مع الحزب الشيوعي الفرنسي أثار قلق الحكومة الاستعمارية الفرنسية ومعها "أركان الاستعمار العامة". في حين أن توثيق العلاقات بين "التجمع" والحزب الشيوعي الفرنسي بعد اختلاف هذا الأخير مع الائتلاف الحاكم حول سياسة الحكومة التي يرأسها بول رامادييه، وخروجه من السلطة في شهر أيار/ مايو ١٩٤٧ وانتقاله إلى صفوف المعارضة بصحبة حليفه حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي أدّى إلى تصاعد ارتياب الإدارة الاستعمارية من "التجمع". وقاد اندلاع الحرب الباردة إلى تفاقم عدائها له. فنظمت حملة قمع واسعة ضد "التجمع". مما أدى إلى تأزم العلاقات بينهما. وسرعان ما شعر قادة حزب التجمع وفي مقدمتهم رئيس التجمع ونائب ساحل العاج فيليكس هوفييت-بواني بأن الإدارة الاستعمارية

تسعى إلى استئصال (شأفة التجمع وتدميره، وقرر فك التحالف مع الحزب الشيوعي الفرنسي، وتبني ما سمي "سياسة الانطواء الاستراتيجي le repli tactique"، أي سياسة التقرب من الحكومة الفرنسية والتعاون مع الإدارات الاستعمارية المحلية، "لأن من المهم التأكيد بالأفعال أن النواب [الأفارقة] ينوون الدفاع عن الشعوب [الإفريقية] في جميع الظروف والأحوال في إطار الاتحاد الفرنسي". لمزيد من التفاصيل انظر بحثنا القادم الذي سبق الإشارة إليه في الإحالة رقم ٣٢.

(38) **CRDA, Documents Originaux, 30 (1),** Statuts de l 'Association des Etudiants RDA, Art. 4.

(39) Programme Politique de l 'ARDA. In: **La Voix de l'Afrique Noire,** no 1, Per. Fév. *1952,* p.3.

(40) Ibid. p.4.

(41) Ibid. p. 3.

(42) Ibid. pp.3-4.

(43) La Liquidation de tout le système colonial de l' impérialisme est a l'ordre de jour (IDA NOV *1950).* In: **La Voix de l'Afrique Noire,** op.cit., pp.1-2.

**(44)** Cheikh Anta DIOP, Vers une idéologie politique africaine. In: **La Voix...,** ibid., pp.5-21.

(45) Ibid. pp.5-7.

(46) Ibid., pp.7-12.

(47) Ibid., pp.10-14.

(48) Ibid., pp.12-14.

(49) Ibid., pp.14.

(50) Ibid., ppl4-l9.

(51) Ibid., pp 19.

(52) Ibid., p.20.

(53) Ibid., pp.20-21.

(54) CONTRE LE PEUPLE AFRICAIN. Les Députés RDA complotent avec les Nègriers. In: **La Voix de l' Afrique Noire**, op. cit., pp.21- 22.

(55) Ibid., p.22.

(56) Ibid., pp.23-24.

(57) C F. H. DIABATE, **la Marche des femmes sur Grand-bassam**, Dakar-Abidjan, les Nouvelles Editions Africaines, 1975, P.10 et le témoigngage de Daumbia Jacquees SANTIGUT, lutte et victoire du Rossemblement démocratique africain conter la colonisation Française, In: **Revue de la Fondation Houphuët-Boigny**,204, pp. 40-49.

(58) Ibid., pp.22-23.

(59) Ibid., p.23.

(60) Communiqué de désapparentement. In: G. LISETTE, **Le Combat du Rassemblement Démocratique Africain dans la lutte anti-impérialiste,** Paris, Présence Africaine, 1983, p.161.

(٦٢) انظر: صباح ممدوح كعدان، **تاريخ إفريقية الحديث و المعاصر**،جامعة دمشق، دمشق ١٩٩٨-١٩٩٩، ص ١٠٠-١٠١.